جولة مع صيادي السمك على شاطئ غزة

جبر فضة

في جولة على رمال البحر الجميل، وفي طريق للقاء بعض رجال البحر من الصيادين الذين قضوا العمر في مصارعة البحر الغاضب لانتزاع لقمة عيشهم من جوفه، شاهدت القوارب المختلفة بأنواعها وأحجامها وقد ألقيت عليها أدوات الصيد من الشباك التي يصنعها الصيادون أنفسهم. اقتربت من معسكر اللاجئين الذي يعيش فيه هؤلاء الرجال منذ أكثر من سبعة وعشرون عاماً. وقبل دخول منزل أحدهم. أجريت هـذا الحـديث مـع صانع القوارب المعروف الأخ إسماعيل محمد مطر أثناء قيامه ببناء أحد القوارب الآلية.

س: كم عدد الذين يتقنون صناعة القوارب في القطاع؟

ج: خمسة أشخاص هم السادة: محمد محمود مطر، وقاسم المنياوي، وحمد المنياوي، ومحمد البخار، وأنا.

س: ألاحظ تشابها في الأسماء، فهل لك أن تحدثني عن كيفية تعلم هذه الصناعة؟

ج: نعم ... بالوراثة تقريباً .. فالابن يتعلم من الأب وهكذا .. وتعلم أنه ليس هناك ورشة خاصـة لتعلـيم هذه الصناعة فمن رغب في التعليم وجب عليه أن يتتلمذ على يد أحد هؤلاء الرجال.

س: كم يبلغ طول هذا القارب وعرضه، وكم يستغرق من الوقت لانجازه؟

ج: طوله عشرة أمتار وعرضه متران ونصف، ويحتاج شهرين ونصف لإتمامه.

س: ما هي تكاليف مثل هذا النوع من القوارب؟

ج: حوالي خمسة آلاف جنيه مصري مع أجرة الصناعة وهي حوالي ستمائة جنيه مصري.

س: هل تستخدم أدوات حديثة في الصناعة؟

ج: إذا توفرت نعم، وإذا لم تتوفر كما ترى فأقوم باستخدام الأدوات التقليدية كالشاكوش والأزميل وغيرها.

وبعد فقد تركت السيد إسماعيل مطر لاستئناف عمله بهمة وحماس وقد اجتمع حولـه أصـحاب القـارب لمساعدته.

واتجهت نحو منزل الحاج محمود عاشور الملقب بأبي سالم الخرسة الذي أعطى البحر ما يقـارب مـن خمسين عاماً من حياته ثم ترك البحر لتقدمه في السن مورثاً أولاده وأحفاده هذه الحياة القاسية.

وكان في انتظاري هناك الحاج محمد الزهار الذي قضى أكثر من خمسين ربيعاً من حياته مصارعاً البحر على سواحل يافا وحيفا والطنطورة وقيساريا وعكا وعتليت وعسقلان وحمامة وغزة والعريش حتى سـواحل البردويل جنوباً.

حدثنا الحاج الزهار عن أغاني الصيادين عند دفع القارب إلى البحر وعند إلقاء الشبكة إلى البحر وظهور السمك.

الأغاني عند دفع القارب إلى البحر:

هية يا الله يا عناية الله

هية يا الله ويا رسول الله

هية يا الله ويا معين يا رب

الأغاني عند شد الشبكة وقد امتلأت بالسمك

هيلي وصلي ع النبي

ما أحلى الصلاة ع النبي

يا ما أحلى ذكرك يا نبي

صلوا يا حاضرين على محمد نبينا

صلي يا مسلم صلي على نبينا

وأما عند خروج المراكب إلى البر فيرددون نفس الأغاني التي تتسم بطابع الدعاء التي يرددونها عند دفع المركب إلى البحر.

أما إذا وجد الصيادون الوقت للراحة بعد الصيد، فيجتمعون يتسامرون ويتبادلون المواويل الشعبية المعروفة مثل عتابا وميجانا.

فيطلق أحدهم السمكة (البيت الذي يردده جوقة الصياد) مثل:

يا ميجانا .... يا ميجانا

يا بحر هدى الموج أجوك أحبابنا

ثم يتبعها مواويل مثل

واجى طولي على طولك بلا قيس	وبحر حايط الدنيا بلا قيس
وحق من خلق الدنيا بلا قيس	وقلبي ما هوى غيرك حدى

ثم يتبع الموال مسكة جديدة:

يا ميجانا ... يا ميجانا	تكرم عيونك واحمل البلوى أنا

يتبعها موال:

نزل دمعي على خدي بحرمي	وعلى اللي يمسح دموعه بمحارمي
لا عاش رجل تحكمه الحرمى	حرام يدوس في فراشه النسا

وهكذا يستمر السمر بين المسكة والموال بقضاء وقت يجددون فيه نشاطهم وينسون فيه كدهم. ويلاحظ أن هذه الأغاني متأثرة إلى حد بعيد بحياة البحر التي تكاد أن تكون ضرورية في كل موال.

أنواع القوارب:

١. مبطنة: وهو قارب شراعي مقدمته ومؤخرته مدببتان مع ارتفاع المقدمة عن المؤخرة نوعاً ما، ويستخدم لصيد السردين والغمبار والملطة واسفرنة وجميع أنواع السمك الصغير في استخدام

نوع من الشباك يعرف بالجرافة. والجرافة عبارة عن شبك يربط بحبل مركب عليه قطع رصـاص من أسفل وقطع فلين من أعلى. وتستخدم الجرافة عند التقسيط وهو الغوص إلـى صـخور لطـرد السمك من بينها واصطياده بالجرافة.

وتستخدم المبطة لصيد السردين باستخدام نوع من الشباك يعرف بالملطش الذي يلقي في البحر علـى أعماق تتراوح بين ٣ قامات إلى ١٢ قامة.

٢. فلوكة: مقدمتها مدببة ومؤخرتها عريضة "ترس" ويمكن استخدامها لصيد السمك الـصغير السردين وكذلك لاصطياد السمك الكبير من أنواع لوكس وفرفور والاسكندر. وتستخدم شرك السنار لهذه الغاية. وذلك بوضع طعم من سمك السردين أو أي نوع من الأسماك الصغيرة.

لغة الصياد الفلسطيني

نَو: وهو هبوب رياح شديدة تؤدي إلى ارتفاع الأمواج بشكل يهدد القارب.

الخام: الشراع.

المنطار: الحبل الذي يربط في طرف الشراع على الصاري.

الشّقوطة: الحبل الذي يربط في طرف الشراع لشده.

تعمير الدفة: تثبيت الدفة في مكانها في مؤخرة القارب.

يميج: إخراج الماء من داخل القارب وقذفه إلى البحر.

تعدي: استعداد المركب للخروج من البحر .

تشيط: تندفع بقوة الموج إلى البر.

التحصيل: دفع القارب إلى الشاطئ بقوة الأيدي بعيدة عن الموج.

القرية: عمود يبلغ طوله ٩ أمتار تكون سميكة من أسفل ثم تقل سماكتها كلما اتجهت إلى أعلى حيث يثبت عليها الشراع.

إبليس: وجمعها أباليس، وهي الخيوط التي تثبت الشراع بالقرية.

العزاقة: وهي الخام الذي يركب في النصف الخلفي من القارب حيث يركب على قرية طولها حوالي ٨ أمتار.

دويدرة: عمود مركب على الصارى بمستوى سطح القارب وعلى ارتفاع نصف متر من السطح.

الشقطيش: حبل يثبت الدويدرة مربوطة من الجهة الأخرى ببطانة المركب.

هذا موجز مختصر عن حياة بحارتنا القاسية التي صارعوها على مدى التـاريخ وعبـر العـصور وانتزعوا لقمة عيشهم من بين أنيابها الحادة يرنون إلى مستقبل أفضل.